شعبان عيد التقرّب والتوجه إلى الله

المكان: طهران

المناسبة: ولادة الإمام الحسين عليه السلام ويوم الحرس.

الزمان: 1/5/1389هـ.ش، 11/8/1431هـ.ق، 23/7/2010م.

الحضور: العاملون في مكتب القيادة وأعضاء قوة الحراسة مع عوائلهم.

4321

أولاً أرحّب بكم جميعاً إخواني أخواتي العوائل المحترمين وأبارك هذا العيد السعيد والشريف بل هذه الأعياد الشريفة التي قدّر الله أن تكون في شهر شعبان المبارك. فإن نفس شهر شعبان أعزّائي وبغض النظر عن هذه الولادات المباركة هو عيدٌ؛ هو عيد التقرّب والتوجه إلى الله والتوسّل القلبي إلى الساحة الربوبية؛ فرصةٌ عظيمةٌ من أجل تنوير القلب والروح والتجهّز من أجل الدخول في ضيافة شهر رمضان المبارك. بهذه العين ننظر إلى شهر شعبان؛ شهر فرصة العبودية لله وفرصة بناء الذات.

ما أردت أن أستعرضه في هذا الجمع هو قضية الدوافع. فالأعمال الحسنة والكبرى لا يمكن أن تُنجز إلا بالدوافع المميزة والنابعة من أعماق القلب. فلا يمكن القيام بالأعمال الكبيرة بصورةٍ تشريفية وإدارية ودستورية. فالعمل الذي ينبع من القرارات يؤدى بنفس حدّ العمل المتعارف، بينما يكون العمل المميز

تابعاً للدافع. ذاك الذي يقضي وقتاً طويلاً بلحاظ كمية العمل ويضحي بوقت راحته لديه دافعٌ سامٍ، فهذا شيء مميّز. وقد شاهدنا مثل هذه الروحية؛ وهي موجودة أيضاً هنا. فطوال هذه السنوات الـ 31 فإنني العبد حيثما كنت في الأماكن المختلفة ـ سواءٌ في زمن رئاسة الجمهورية، أو قبلها في القوات المسلّحة والأماكن الأخرى ـ شاهدت عن قرب أشخاصاً لا يعرفون شيئاً إسمه العطلة أو الإستراحة فهم يرغبون بأن يقضوا كل لحظاتهم في العمل الذي كلّفوا به. وما أريد أن أقوله لكم هنا لست موافقاً على طريقة العمل، فأنا العبد أعتقد أنه يجب تنظيم العمل وتخطيطه بطريقةٍ يتمكن الإنسان من القيام بمسؤولياته العائلية، لأبنائه، ولعلاقاته العاطفية. فلا يسحق نفسه. ولكن حسناً، هناك البعض هكذا إما أنهم في الواقع أصحاب إمكانات كبيرة فيقومون بكل شيءٍ في محلّه ويدهقون وعاء العمل، أو أنهم يأخذون من أماكن أخرى ليضيفوا إلى العمل. إن هذا العمل بحجمه وكميّته الثقيلة الكبرى والشاملة يُعدّ من الأعمال المميزة وهو يحتاج إلى الدافع. فما لم يكن هناك دافعٌ قلبي لا يمكن لأي أحد أن يعمل هكذا من أجل القرار وبخاطر الأمر أو المقررات. وأحياناً، لا يمكن لأحد أن يفهم حجم العمل هذا. وقد ذكرت مراراً في المجموعات الإدارية التي تأتينا: يكون في يد أحدكم ملفٌ، أو مشروعٌ أو عملٌ فيقول في نفسه فلأنهه. فينتهي الوقت الإداري وتكونون متعبين ولكن تقولون في أنفسكم عليّ أن أنهي هذا العمل وأذهب. فتبقون بعد نهاية الدوام بساعة أو ساعتين ولا تطلعون رئيسكم ولا تسجلون وقتاً إضافياً ولا يطلع أحدٌ على ذلك، ولكنكم تكونون قد أديتم العمل وأنجزتموه؛ فمثل هذا الأمر له قيمة عظيمة. فهذا يحفظ في دفتر

الكرام الكاتبين. فكتّاب أعمالنا المأمورون من جانب الرب (تعالى) يعظّمون مثل هذه الأعمال خصوصاً. حسناً، فإن هذا يمثل عملاً عظيماً.

ونوعٌ آخر من الأعمال المميزة هو الذي يتعلق بالكيفية، أداء العمل بكيفية جيدة وبشكل أعلى. فالإنسان يمكنه أن ينجز عملاً على شاكلتين: هناك طريقةٌ أسهل لكنه يختار الطريقة الأصعب من أجل أن يرفع من كيفية العمل. ومثل هذا يتطلب دافعاً بأن هذا العمل مميز.

وهناك نوع من الأعمال يرتبط بالإبتكار والخلاقية؛ إيجاد الطرق والأساليب الجديدة، والأكثر فاعلية؛ سواء في الأعمال المحدودة أو الشاملة. حيث يلزم الفكر والسعي. فيقول البعض هنا، دعه ولننجز العمل كما يقوم به الآخرون. والبعض يقول كلا، فهم يريدون أن يقدموا عملاً إبداعياً وخلّاقاً. وهذا ما يتطلب دافعاً. فبدون الدافع وبدون العامل الباطني لا يمكن أن تتحقق مثل هذه الأعمال سواء من الناحية الكمية أو الكيفية.

فما هو هذا الدافع؟ إن هذا الدافع هو مركّبٌ من الإيمان والوعي فهذان الأمران يعطيان الإنسان الدافع: أن يكون مؤمناً وأن يكون واعياً.

لو أصبتم بمرض لا سمح الله؛ عندما لا تعرفون بوجوده أو لا تعرفون طبيباً يداويه فإنكم تتصرفون بطريقة تختلف عما إذا كنتم مطلعين على هذا المرض أو وجود الطبيب. لو كنتم تعتقدون بأن هذا الطبيب يمكنه أن يعالج المرض فماذا تفعلون عندها حتماً لن تتأخروا، سواء كان بعيداً أو قريباً سهلاً أو صعباً، فإنكم تأخذون مريضكم إليه، هذا هو الدافع. فللإنسان دافعٌ للعمل. والعامل

الباطني يحمل الإنسان على القيام به. فإذا علم الإنسان بالحاجة وآمن بالنتيجة وكان ذلك من أجل شعبه المؤمن وتحت نظر الله تعالى، فإن هذا ما يصح أن يقال عنه دافعاً كاملاً. والبعض لديهم مثل هذا الإعتقاد والوعي والإيمان بالنتيجة ولكن ليس لديهم الله. فهؤلاء يكون دافعهم أقل، أما عندما أعلم أنا وأنتم أن العمل الذي نريد أن نقوم به ونمارسه هو عملٌ لله ولأجل النظام الإسلامي ومن أجل الناس ونفعهم والله يراه حتى لو لم يطلع عليه الآخرون أو يقدّروه ولم يصفّقوا لنا، لكن الله تعالى يراه ويقدّره ويؤجر عليه، قال الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء: إن ذلك بعين الله. بهذه الرؤية يمكن لذلك الدافع إذا وُجد أن لا يبقي الإنسان عاطلاً أبداً. وقد استغرق الإسلام بتاريخه ونبيه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وانهمكوا في تقوية هذا الدافع وتحديد مواطن وجوده والإستفادة منه لمصلحة الأهداف والمبادئ. فعندما يطّلع المرء على تاريخ الإسلام يرى إنهماكاً في هذا الخصوص.

وأذكر هنا نموذجاً منه. ففي معركة أُحد ـ مثلما لديكم علم، قد سمعتم أو قرأتم ـ كان المسلمون في البداية منتصرين وبعدها وبسبب طلب الدنيا انهزم البعض. البعض منهم استشهدوا كحمزة سيد الشهداء وغيره والبقية فرّوا وذهبوا إلى ذلك الجبل والأعداء في نهاية ذلك اليوم الذي جرت فيه المعركة تركوا المكان بأيد مليئة وسرور. وبقيت هذه القصة والعقدة في قلوب المسلمين. فأمر النبي بحمل الشهداء وإحضارهم إلى المدينة ـ وجبل أحد قريب من المدينة ـ فتحركوا ودخلوا المدينة. ومن بين القافلين رجوعاً إلى المدينة كان هناك جرحة ومعوّقين وأجساد الشهداء المطهرة والعوائل المثكولة. فعجّت المدينة

وضجّت بالبكاء والنحيب على المقتولين وبسبب الفشل بالحرب؛ فكل هذه الأمور شكلت مرارة.

في مساء ذلك اليوم الذي جرت فيه تلك الواقعة المرّة أخبروا النبي أن عدّة من المشركين بعد أن ابتعدوا عن المدينة يفكرون بالهجوم والقضاء على المسلمين طالما أنهم هزموا. فبمجرد أن وصل الخبر إلى المدينة بدأ بعض الأشخاص الثرثارين ـ إما أنهم مغرضون أو جهلة ينشرون الشائعات مباشرة بسرعة البرق والريح ـ بنشر هذا الخبر. مثل هؤلاء الأشخاص بمجرد أن يصلهم أي خبرـ دون أن يتأكدوا من سقمه ـ يبدأون مباشرةً بإذاعته. ففي ذلك الزمان كان هناك أفراد مثل هؤلاء كزماننا. وبدأوا بإشاعة الخبر داخل المدينة. وقالوا لقد قُضي علينا، وها هم سيهجمون، وعلينا أن نخافهم، ووو... وبدأوا بإلقاء هذه الأمور في قلوب الناس. هنا جاء النبي الأكرم إلى الميدان، ففي مثل هذه المواضع لا بد من إعمال روح النبوة. فجمع النبي الناس وأمرهم الحضور في المسجد ثم قال: سمعت أن العدو قد اجتمع في المكان الفلاني وهو ينتظر أن تغفلوا حتى يحمل عليكم حملة واحدة. وعليكم أن تذهبوا إليهم لتبددوهم. قالوا: سمعاً وطاعة يا رسول الله. قال: كلا، أريد فقط من كان معنا في أُحد. أي أنه كان يطلب أولئك الذين كانوا يحاربون من الصباح حتى المساء وأولئك الذين أصيبوا بالجراحات ولا يريد غيرهم. لعل البعض في البداية تعجّبوا، ثم بعد ذلك اندهشوا من هذا الحكم. فجُمع أولئك الذين كانوا في اُحد ممن أصيب وأُنهك وأمرهم النبي أن يذهبوا وينهوا القضية ثم يرجعوا. فأولئك الذين أصيبوا في ذلك اليوم وأرادوا أن يردّوا الضربة بالضربة كانوا يخبرون الأمر

جيداً لا أنهم سمعوه من هنا وهناك، هؤلاء هم الـذين عبّـأهم النبـي وأمـرهم بالذهاب. وكانوا عدّةً غير كثيرة، فركبوا واتّجهوا إلى تلـك المنطقـة وغـافلوا العدو ووجّهوا إليه ضربةً شتّتته وبدّدته ثم رجعوا. فنزلـت حينهـا هـذه الآيـة الشريفة: ﴿الَّذينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُم﴾[1]. فالمؤمنون هم أولئك الذين يأتيهم أصحاب الشائعات ليخوفهم بالأعداء ﴿فَزادَهُمْ إيماناً﴾ لكن هذا التخويف لم يتحقق بل ازداد الدافع والإيمان وأصبح أقـوى. ﴿وقالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَ نِعْمَ الْوَكيلُ﴾[2] فقد قالوا أن الله يكفينا ونحن نكل الأمر إليه. فهـل ترون مثل هذه المعرفة العظيمة. فها أنتم تقومون بالعمل وأيديكم تعمل وكذلك فكركم وقلمكم ولكن العمل هو عمل الله وموكولٌ إليه. فإيكال الأمر إلى الله لا يعني أن نجلس جانباً ونقول أن الله ينجزه. كلا، فإن الله لا يفعل مثـل هـذا. أن أقوم أنا وأنتم بعملٍ وننجزه ونغترّ به ونتصور أننا نحن الذين فعلنا أو قمنـا بـه وأننا قمنا بعملٍ مميز هو خطأٌ وهذا غير صحيح. فلو لم يعن الله ولو لم يهدِ ولو لم يوفق فلا يمكنكم أن تقوموا بأي عمل؛ ولن تحصّلوا أية نتيجة.

عندما يتلازم العنصران أي أنكم من جهة تتوكلون على الله وتستمدون منه وترونه حاضراً وناظراً وتعلمون أنه تعالى صاحب العمـل ومـن جهـة أخـرى تبذلون كل قواكم في العمل فهذا ما يمكن أن نسميه شكلاً صـحيحاً. ﴿وقالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَ نِعْمَ الْوَكيلُ﴾ فهذا وصف لهـم وتُـذكر نتيجـة عملهـم فـي الآيـة اللاحقـة: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ

(1) سورة آل عمران، الآية: **173**.

(2) سورة آل عمران، الآية: **173**.

اللهِ﴾[1] فذهبوا ورجعوا بدون أن يصيبهم جرحٌ أو أذى. فقد استطاعوا أن يبددوا العدو ويغنموا كل ما كان بحوزته ويرجعوا. لم يكن عملهم مجرّد إحباط للمؤامرة بل أمّنوا مدخولاً للمدينة وحكومة النبي في السنة الثالثة التي كانت عام معركة أُحد.

يراد لنا أن نذكر هذه الأمور فهي ليست مجرّد تاريخ أو ذكرى، بل هي درسٌ وعبرة. يُراد لنا أن نذكر هذه الحقائق ونُعملها في حياتنا. هناك أربع آيات ذُكرت في تعقيب صلاة الصبح ـ وهي موجودة في كتاب مفاتيح الجنان ـ يمكنكم مراجعتها وقراءتها. ولكل آية من هذه الآيات المذكورة نتيجة تتبعها:

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهِ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾[2].

﴿لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمين، فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنين﴾[3] **وهي الآية المتعلقة بالنبي يونس.**

والآية الأخرى هي الآية التي تلوناها منذ قليل: ﴿وقالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[4].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: **174**.

(2) سورة غافر، الآية: **44**.

(3) سورة الأنبياء، الآية: **88**.

(4) سورة آل عمران، الآية: **174**.

والآية الرابعة: ﴿ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ﴾[1] التي ترتبط بقضية الأخـوين. فكلها دروس لنا. عندما يشعر المرء بأن العمل كبير وله أهمية وتأثير إجتماعي شامل يكبر دافعه.

وعلى كل حال فإن الذي يزول هو أيامنا المتصرّمة بحسنها وسوئها، سـواء عملنا بتكليفنا أم لم نعمل. كل هذه تزول. فطبيعة العـالم هـي طبيعـة الـزوال (العالم متغيّر) وما يبقى هو أثر هذا العمل في الديوان الإلهي فهذا ما لا يـزول، ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ﴾[2]. لا يخفى على الحساب الإلهي مثقال ذرّة سـواء كان معنى الذرّة ذرات الغبار المنتشـر فـي الهـواء أو بمعنـى النملـة. فـآلات التصوير الإلهية المخفيّة تراقب أعمالنا ذرّةً ذرّة وتقيسها والأشد من ذلـك هـو أنها مسلّطة على قلوبنا، فليست هذه الكاميرات الخفيّة في المبنى وفـي محـل العمل وداخل البيت وأمثالها. بل إنها أيضاً داخل قلوبنا. فما يجري في قلوبنـا وأذهاننا وما نقوم به في خلواتنا كل ذلك بدون زيادة أو نقيصة ينعكس ويظهر يوم القيامـة. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[3] وظاهر الآية أن هذا العمل يتجسّم فيراه الإنسان عندئذٍ. والأصل هو أن العمل يبقى، فلنكن دوماً ملتفتين إلى هـذا البقـاء. فحـوادث الـدهر وتصـرّم وانقضاء عمرنا بحسنه وسوئه، في قمة الإحترام أو حضيضه، بجيوب مليئـة أم خالية كل ذلك يمرّ ولا يبقى، فحسنه لا يستحق الإعجاب لأنه غير باقٍ وسوءه

---

(1) سورة الكهف، الآية: **29**.

(2) سورة سبأ، الآية: **3**.

(3) سورة الزلزلة.

لا يستحق أن نشكو لأنه غير باقٍ، لأنه عابر. ما يبقى هو أثر هذا العمل ونتيجته، الثواب الإلهي، العقاب الإلهي، وعلينا أن نفكر بهذا الأمر.

حسناً، لقد سررنا كثيراً أيها الإخوة والأخوات وخصوصاً شبابكم الذين بحمد الله قد تواجدوا في هذا اللقاء العائلي ونأمل إن شاء الله أن توفقوا جميعاً وتنجحوا وتتقدّموا في الخط المستقيم والصحيح والصراط الإلهي المستقيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته